# الجزء الثَّاني، المحاضرة الرّابعة

# نصٌّ تطبيقيّ قصيدة لا تعذليه لابن زُرَيق البغداديّ

د. إسراء صفيّة

# قصّةُ القصيدة

كان للشاعر ابن زريق ابنة عمّ قد كَلِف بها أشدّ الكلف، ثمّ ارتحل عنها من بغداد لفاقة أصابته، فقصد عبد الرحمن الأندلسي في الأندلس، ومدحه بقصيدة بليغة، فأعطاه عطاءً قليلاً، فقال ابن زريق: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، سلكت القِفار والبحار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء، ثمّ تذكّر فراق ابنة عمّه وما بينهما من بعد المسافة مع ضيق ذات يده، فاعتلّ غمًّا ومات.

# لا تعذُليه

# عن القصيدة:

هذه الأبيات من قصيدة لابن زريق البغداديّ الَّذي تُوفي في القرن الخامس الهجريّ، وتنتمي هذه القصيدة إلى الشّعر الذّي يخرج من القلب إلى القلب؛ شعر يمتلئ بالحبّ والألم والفراق والحنين، والّذي خلّد القصيدة هو صدق المشاعر وواقعيّة التجربة، فهذا شاعر خرج من بغداد إلى الأندلس سعيًا في طلب الرزق، وترك وراءه حبيبيته الّتي تشفّعت به ألا يفارقها، وتشبّثت به يوم الرّحيل، لكنّه أصرّ على السّفر، فذاق الآلام الّتي قضت عليه فمات حزنًا وحنينًا وكمدًا.

في القصيدة ثلاثة مواقف: الأوّل هو الحديث عن اللّوم، والثّاني عن تجربة الفراق وآلامها، والثّالث عن الرّجاء باللّقاء والاستسلام لقضاء الله.

لا تَعذَلِيه فَإِنَّ العَذلَ يُولِعُهُ ... قَد قَلتِ حَقًّا وَلَكِن لَيسَ يَسمَعُهُ

جاوَزتِ فِي نصحه حَداً أَضَرَّ بِهِ ... مِن حَيثَ قَدّرتِ أَنَّ النصح يَنفَعُهُ

فَاستَعمِلِي الرِفق فِي تَأنِيبِهِ بَدَلًا ... مِن عَذلِهِ فَهُوَ مُضنى القَلبِ مُوجعُهُ

قَد كانَ مُضطَلَعًا بِالخَطبِ يَحمِلُهُ ... فَضُلّعَت بِخُطُوبِ البينِ أَضلُعُهُ

يَكفِيهِ مِن روعة التّفنيد أَنَّ لَهُ ... مِنَ النَّوى كُلَّ يَومٍ ما يُروعُهُ

ما آبَ مِن سَفَرٍ إِلّا وَأَزعَجَهُ ... رَأيٌ إِلى سَفَرٍ بالبين يَجمعه

كَأَنَّما هُوَ من حَلّ وَمُرتحلٍ ... مُوَكَّل بِفَضاءِ اللهِ يَذرَعُهُ

إِذا الزَمانَ أَراهُ في الرَحِيلِ غِنًى ... وَلَو إِلى السندّ أَضحى وَهُوَ يُزمَعُهُ

إنشاد
أحمد
النفيس

إنّ العذل يولعه

قدّرت أنّ النّصح ينفعه

هو مضنى القلب موجعه

كان مُضطلعًا

يكفيه أنّ له من النوى ما يُروعه

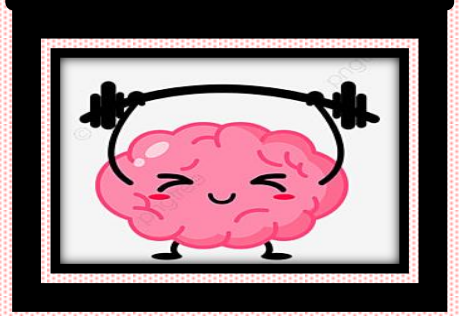

كأنّما هو من حلّ ومرتحل موكل

أضحى وهو يزمعه

ليس يسمعه

تأبى المطامعُ إلا أن تُجَشّمه ... للرزق كدًّا وكم ممّن يودعُهُ

وَما مُجاهَدَةُ الإِنسانِ تَوصِلُهُ ... رزقًا وَلا دَعَةُ الإِنسانِ تَقطَعُهُ

قَد وَزَّع اللهُ بَينَ الخَلقِ رزقَهُمُ ... لَم يَخلُقِ اللهُ مِن خَلقٍ يُضَيِّعُهُ

لَكِنَّهُم كُلِّفُوا حِرصًا فلَستَ تَرى ... مُستَرزِقًا وَسِوى الغاياتِ تُقنُعُهُ

وَالحِرصُ في الرِزقِ وَالأَرزاقِ قَد قُسِمَت ... بَغِيٌ أَلّا إِنَّ بَغيَ المَرءِ يَصرَعُهُ

وَالدهرُ يُعطِي الفَتى مِن حَيثُ يَمنَعُه ... إِرثًا وَيَمنَعُهُ مِن حَيثِ يُطمِعُهُ

أستَودِعُ اللهَ فِي بَغدادَ لِي قَمَرًا ... بِالكَرخِ مِن فَلَكِ الأَزرارِ مَطلَعُهُ

وَدَّعتُهُ وَبوُدّي لَو يُوَدِّعُنِي ... صَفوُ الحَياةِ وَأَنّي لا أَودِّعُهُ

| | | | |
|---|---|---|---|
| ما مجاهدة الإنسان توصله رزقًا | ولا دَعةُ الإنسان تقطعه | لكنّهم كُلّفوا حرصًا | لست ترى |
| والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت بغيٌ | إنَ بغي المرء يصرعه | والدّهر يعطي الفتى | من فلك الأزرار مطلعه |
| أنّي لا أُودعه | | | |

وكم تشفّع بي ألّا أفارقَه ... وللضرورات حالٌ لا تُشفّعه

وَكَم تَشبَّثَ بي يَومَ الرَحيلِ ضُحَىً ... وَأَدمُعِي مُستَهِلّاتٌ وَأَدمُعُهُ

لا أَكُذبُ اللهَ ثوبُ الصَبرِ مُنخَرقٌ ... عَنّي بِفُرقَتِهِ لَكِن أَرَقِّعُهُ

إِنّي أَوَسِّعُ عُذري فِي جنايَتِهِ ... بِالبينِ عِنهُ وَجُرمي لا يُوَسِّعُهُ

رُزِقتُ مُلكاً فَلَم أَحسِن سِياسَتَهُ ... وَكُلُّ مَن لا يسُوسُ المُلكَ يُخلَعُهُ

وَمَن غَدا لابِسًا ثَوبَ النَعِيم بِلا ... شكرٍ عَلَيهِ فَعنه اللهَ يَنزعُهُ

اِعتَضتُ مِن وَجهِ خِلّي بَعدَ فُرقَتِهِ ... كَأسًا أُجَرَّعُ مِنها ما أُجَرَّعُهُ

كَم قائِلٍ لِي ذُقتَ البَينَ قُلتُ لَهُ ... الذَنبُ وَاللهِ ذَنبي لَستُ أَدفَعُهُ

أَلا أَقمت فَكانَ الرُشدُ أَجمَعُهُ ... لَو أَنَّنِي يَومَ بانَ الرُشدُ أتبَعُهُ

| | | | |
|---|---|---|---|
| للضرورات حالٌ | أدمعي مستهلات | ثوب الصبر منخرق | إنّي أُوسّع عذري |
| جُرمي لا يوسّعه | كلُّ من لا يسوس الملك يُخلعه | غدا لابسًا | الذّنب والله ذنبي |
| لست أدفعه | كان الرّشدُ | أنني يوم بان الرشد أتبعه | |

إِنّي لَأَقطَعُ أَيّامِي وَأَنفِدُها ... بِحَسرَةٍ مِنهُ فِي قَلبِي تُقَطِّعُهُ

بِمَن إِذا هَجَعَ النُوّامُ بِتُّ لَهُ ... بِلَوعَةٍ مِنهُ لَيلي لَستُ أَهجَعُهُ

لا يَطمَئِنُّ لِجَنبي مَضجَعُ وَكَذا ... لا يَطمَئِنُّ لَهُ مُذ بِنتُ مَضجَعُهُ

ما كُنتُ أَحسَبُ أَنَّ الدهرَ يَفجَعُنِي ... بِهِ وَلا أَنَّ بِي الأَيّامَ تَفجعُهُ

حَتّى جَرى البَينُ فِيما بَينَنا بِيَدٍ ... عَسراءَ تَمنَعُنِي حَظّي وَتَمنَعُهُ

قَد كُنتُ مِن رَيبِ دهرِي جازِعًا فَرِقًا ... فَلَم أَوقَّ الَّذي قَد كُنتُ أَجزَعُهُ

بِاللهِ يا مَنزِلَ العَيشِ الَّذي دَرَست ... آثارُهُ وَعَفَت مُذ بِنتُ أَربُعُهُ

هَل الزَمانُ مُعِيدٌ فِيكَ لذَّتَنَا ... أَم اللَيالِي الَّتي أَمضَتهُ تُرجِعُهُ

| | | | |
|---|---|---|---|
| إنّي لأقطع | لست أهجعه | ما كنت أحسب | أنّ الدهر يفجعني |
| أنّ بي الأيام تفجعه | كنت من ريب دهري جازعًا فرِقًا | هل الزمانُ معيدٌ | أم الليالي الَّتي أمضته ترجعه |

فِي ذِمّةِ اللَهِ مَن أَصبَحَت مَنزلَهُ ... وَجادَ غَيثٌ عَلى مَغناكَ يُمرِعُهُ

مَن عِندَهُ لِي عَهدٌ لا يُضيّعُهُ ... كَما لَهُ عَهدُ صِدقٍ لا أُضَيّعُهُ

وَمَن يُصَدّعُ قَلبي ذِكرَهُ وَإِذا ... جَرى عَلى قَلبهِ ذِكري يُصَدّعُهُ

لَأَصبرَنّ لدهر لا يُمَتّعُنِي ... بهِ وَلا بيَ فِي حالٍ يُمَتّعُهُ

عِلماً بِأَنّ اِصطِباري مُعقِبُ فَرَجًا ... فَأَضيَقُ الأَمرِ إِن فَكّرتَ أَوسَعُهُ

عَسى اللَيالي الّتي أَضنَت بفُرقَتَنا ... جِسمي سَتَجمَعُنِي يَوماً وَتَجمَعُهُ

وَإِن تغُلْ أَحَداً مِنّا مَنيّتُهُ ... لا بدّ في غده الثّاني سيتبعه

وإن يدُم أبدًا هذا الفراق لنا ... فما الّذي بقضاء الله نصنعه

في ذمة الله مَن أصبحت منزله

عنده لي عهد لا يضيعه

علمًا بأن اصطباري مُعقب فرجًا

أضيق الأمر إن فكرت أوسعه

عسى الليالي الَّتي أضنت بفرقتنا جسمي ..ستجمعني يومًا

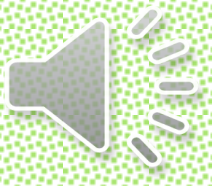

# شكرًا لحسن إصغائكم